الدرس السابع:

الفكر الإسلامي

تمهيد

في القرن السادس الميلادي، ظهر دين جديد في منطقة الشرق الأوسط وهو "الإسلام"، والذي كان يتبع تعاليم النبي محمد (ص)، وهو الدين الجديد الذي سيهيمن على معظم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وصولا إلى إسبانيا الأندلسية وشرقي آسيا، واستمر في النمو والتوسع خلال القرنين اللذين أعقبا وفاة الرسول محمد (ص)، أصبح الدين الجديد متمركزا إلى حد كبير في بغداد والمدن الأخرى المجاورة في المنطقة.

اهتم جميع العلماء المسلمين بدراسة القرآن باعتباره النص الديني الأساسي للإسلام. ومع ذلك، كان العديد منهم مهتمين بالكتب والمخطوطات العديدة التي تم إحضارها إلى هناك بعد أن تعرض روما للهجوم والمسح في عام 455 اهتموا بدراسة وترجمة تلك الكتب والمخطوطات والعلوم وتطويرها من وجهة نظر الفكر الإسلامي خاصة مع تأسيس "بيت الحكمة" في بغداد، والذي شجع العلماء والمفكرين المسلمين الشباب الطموحين على المشاركة في ترجمة ودراسة هذه المخطوطات القديمة وتأسيس الفكر الإسلامي.

1. مصادر تأسيس الفكر الإسلامي:

إذا كان العلماء المسلمون قد اهتموا بدراسة القرآن باعتباره النص الديني الأساسي للإسلام، فإن الكتب والمخطوطات العديدة التي تم إحضارها إلى عاصمة الدولة العباسية بعد تعرض روما للإبادة الكلية عام 455 ساهمت في تطوير عديد العلوم الإسلامية، وإن

كانت العديد من المخطوطات القديمة ما تزال مكتوبة بلغتيها اليونانية واللاتينية الأصلية، والبعض الأخر منها كانت قد تمت ترجمته بالفعل إلى لغات الشرق الأوسط وتحديدا اللغة العربية والفارسية، إذ تمت ترجمة جميع أعمال أرسطو و أقليدس و جالينوس وغيرهم من المفكرين الذين عاشوا في اليونان القديمة، حيث يعود الفضل للمسلمين في حفظ هذه الكتب إلى يومنا هذا كون بعض النسخ الأصلية اليونانية كانت قد اختفت منذ ذلك الحين او دمرت وحرقت، وبدون علماء الإسلام، لم نكن نعرف نصف ما نعرفه عن أسلافنا من العلماء، بل وأكثر من ذلك، فإن ترجماتهم هي التي شكلت أساس العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة بعد حوالي ألف ومئة عام من ظهور الإسلام. 1

وقد امتدت العلوم الإسلامية إلى الشرق والغرب، تماما كما فعلت أراضي الدولة الإسلامية في توسعها. وقد كانت افكار أرسطو و جالينوس محط إعجاب العالم الإسلامي مثلما كانا في أوروبا، حيث شق أرسطو طريقه نحو الفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي، و أصبح جالينوس أستاذ النظرية والممارسة الطبية الأول عند المسمين.

وقد كان للطب، أكثر من أي علم آخر الأثر الأكبر على التفكير الإسلامي، إذ تمت ترجمة أعمال أبقراط، و جالينوس والأطباء اليونانيين الآخرين الكبار والتعليق عليها بكل احترام من طرف المسلمين، بيد أنّ العديد من الأطباء المسلمين صنعوا أسماء لأنفسهم وطوروا مهارتهم لاحقا بشكل مستقل.

وإذا كانت شبه الجزيرة العربية مأهولة منذ زمن بعيد بالقبائل السامية، وهم أسلاف العرب الحاليين، فإنه كان هنالك أيضا عدد كبير من الجاليات اليهودية والمسيحية وتفاعل الناس من مختلف الأديان فيما بينهم ساهم في إثراء ثقافاتهم وفكرهم.

غير أن أهم فصول تاريخ الفكر في شبه الجزيرة العربية الإسلامية يبدأ في فترة القرنين الخامس والسادس، إذ بحلول هذه الفترة خرجت الدول القديمة من المشهد التاريخي، وانهارت العلاقات التجارية بين قوى الماضي، وظهرت دول جديدة تختلف

عن أسلافها، وعاش هناك البدو الرحل والسكان المستقرون معا، على الرغم من هيمنة الأولين. 2

إن الدور الرئيسي في تطور الفكر الإسلامي لم تلعبه التجارة الخارجية كما حدث مع أغلب الحضارات القديمة، إنما الاتصال البيني داخل شبه الجزية العربية هو من طور الثقافة الإسلامية: ففي هذا العالم المضطرب، حيث كان الخطر يهدد الحجاج من كل حدب وصوب في طريقهم إلى مكة، فكان الناس في حاجة إلى مناطق محايدة يسودها النظام ويشعر كل شخص فيها بالأمان، وهو ما وفّرته مناطق المراكز التجارية المقدسة خلال الاشهر الحرم: فقد حملت العلاقات التجارية مع كل من بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين ومصر والحبشة طابع المنفعة المتبادلة والأكثر أمانا في تلك الفترة. وعبر شمالي شبه الجزيرة العربية مرت أيضا طرق القوافل مرورا بمكة التي أصبحت مركزا سياسيا مهما سارت القوافل الغنية عبره وهي تحمل التوابل والأحجار الكريمة الحرير الصيني. 3

كما ساعدت الفتوحات على إثراء التراث العربي-الإسلامي على حساب التأثيرات الثقافة الغربية العديدة عليه، إذ كانت كل من مصر وبلاد ما بين النهرين والهند وفارس وآسيا الوسطى و إفريقيا و إسبانيا تمتلك تقاليد ثقافية غنية، استطاعت أن تؤثر على ثقافة الفاتحين المسلمين، ويمكن التأكيد على أن التفاعل بين الثقافات هذا هو الذي مكّن الثقافة الإسلامية في القرون الوسطى من تزعم الحضارة العالمية لوقت طويل من الزمن.

أما في عام 660 ميلادي أصبحت دمشق عاصمة للخلافة الأموية الإسلامية. غير أنه في 750 ميلادي أسهم الفرس الغاضبون في إشعال تمرّد عسكري كبير في دمشق، أدى إلى قتل الخليفة وغبادة أسرته بأكملها، لتنقل عاصمة الخلافة الإسلامية إلى العباسيين في بغداد الواقعة غرب العراق بالقرب من أنقاض بابل. وهكذا تعاقب على الفكر الإسلامي عدة أسر حاكمة بعد وفاة النبي محمد (ص)، أهمها الأمويون (661-750)، و العباسيون (750-929)، واللذين كانا لهما دور محوري في تطور الفكر الإسلامي. 4

في عام 929، و على أساس إمارة قرطبة، تأسست خلافة قرطبة التي تميزت بمستوى عال من التطور الاقتصادي وتوحيد للناس الذين يعتنقون ديانات مختلفة مع المسلمين الأصيلين. وامتلكت الخلافة هناك "مكتبة" غنية جمعت فيها مؤلفات في مختلف فروع المعرفة. فإلى جانب علم الدين والفقه، درس الطلاب في جامعة قرطبة العلوم الدقيقة والطب حتى عام 1031 حين سقطت الخلافة الإسلامية في قرطبة، إلا أن العالم الإسلامي واصل توسعه ومعه الفكر الإسلامي.

2. **النشاط الفكري خلال العهد الإسلامي**:

لقد أصبح العالم الإسلامي مركزا للعلم والفكر والفلسفة، بفضل إسهامات العلماء المسمين، مثل الكندي- الفاربي- إبن سينا- الغزالي- إبن رشد- إبن جبيرول- إبن ميمون، وغيرهم الكثير، كما حظي النشاط العلمي في البلدان الإسلامية في الفترة الممتدة بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر بالتقدير العالي من طرف الشعب ومن طرف الحكام، وكانو يعطون الكثير من العطايا للباحثين ويتم تقديرهم واستقبالهم، وكان العلم في الفكر الإسلامي مهما جدا نظرا لاعتباره وسيلة للارتقاء بالإنسان من الناحية الأخلاقية والعقلية، ما شجع العلوم الطبيعية على حصولهاا تدريجيا على الاستقلالية التامة في علاقتها مع الدين الإسلامي وتم الفصل بين الدين والرياضيات وبين الدين وعلم الأحياء وبين الدين والفلسفة وهلم جرا.

وفي الرياضيات، عُرف عالم الرياضيات والفلك "الخورازمي" باعتباره صاحب المؤلفات وكتب الرياضيات المهمة التي وضعت الأساس لعلم الجبر. حيث وعن طريق مؤلفاته التي ترجمت إلى اللاتينية تعرّف الأوروبيون على "الأرقام العربية" واستفادوا منها كثيرا (رغم أن هذه الأرقام التي استعملها الخوارزمي في الجبر هي في الواقع أرقام اُخترعت في الهند وليس في شبه الجزيرة العربية). 5

وفي الرياضيات دائما كان عالم الفلك البتاني أول من استخدام الوظائف المثلثاتية التي تسمح بالقيام بعملية حسابية أكثر دقة عند مراقبة الأجرام السماوية، كما نجح ابن الهيثم في أعماله في وصف قوانين انعكاس وانكسار الضوء بدقة غير مسبوقة.

وكان أحد أبرز العلماء المسلمين هو "البيروني" الذي عمل في مختلف مجالات المعرفة، وأعرب للمرة الأولى عن فكرة أن الأرض تدور حول الشمس، وعلاوة على ذلك، فقد حدد "البيروني" الطريقة الصحيحة لوضع خطوط الطول وقياس طول محيط الأرض.

كما يُعرف المفكر الكبير عمر الخيام أيضا كعالمٍ نجح في ربط حل المعادلات الجبرية في الهندسة، كما أنه أصلح التقويم، و كان قريبا من الفلسفة القديمة ليونانية وطورها من منظور إسلامي. 6

قائمة المراجع المستعملة حسب ترتيب ظهورها:

1. ويليام بينوم: مختصر تاريخ العالم، دار الكتب العلمية، بغداد، 2018، ص 62
2. دينيس أليكسانردوفيتش تشيكالوف: تاريخ الثقافة العالمية، مشروع كلمة للترجمة، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2014، ص 177
3. دينيس تشكيالوف، مرجع سبق ذكره، ص 177
4. دينيس تشكيالوف، مرجع سبق ذكره، ص 183
5. دينيس تشكيالوف، مرجع سبق ذكره، ص 191
6. دينيس تشكيالوف، مرجع سبق ذكره، ص 191